وأما **القِيافَة** فهي: مَعرفة الآثار[١]، وهي لا توجد إلا في الفُطَناء من العرب.

وكانت كلُّ قبيلة مخصوصة بشيء، فلبعضهم الكَهانَة، ولبعضهم الزَّجْر والفأل، ولبعضهم القافَة، والشَّبَه يكون في القَدم غالباً.

وكانت القيافة في مُضر وربيعة وأَنمار أولاد نِزار، وكذا في إياد ومَذْحِج، وهم اليوم بالحجاز وتِهامة، وبالجِفار بين مصر والشام.

فصل

وقد كان لهم العَدْوى، والطِّيَرَة، والصَّفَر، ثم انتَسخ الجميع بقوله ﷺ: «لاعَدوى، ولا طِيَرة، ولا هامَة، ولا صَفَر»[٢].

فصل في أطعمة العرب

منها البَسيسَة، وهي كلُّ شيءٍ خَلَطْتَه بغيره من غير طَبْخ.

ومنها البَكِيْلَة، وهي أن يُخلط السَّويق بماء وتمر.

ومنها الخُرْس، وهي طعام الوِلادة.

والإعذار: طعام الختان للجارية والغُلام.

والنَّقيعَة، طعام القادم من السَّفر.

ومنها الحَريرَة، وهي أن تُنصَبَ القِدْر، ويُقَطَّع اللَّحْمُ صِغاراً على ماء كثير، فإذا نَضِج ذُرَّ عليه الدَّقيق، وإن لم يكن فيها لَحْم فهي عَصِيدة[٣].

ومنها الرَّبِيكَة، وهي تَمْرٌ يُعجَنُ بسَمْنٍ وأَقِط، وفي المثل: غَرْثان فارْبُكوا له، لأن أعرابيّاً أتى أهلَه، فبُشِّر بغُلام وُلِد له، فقال: ما أَصنعُ به، آكُلُه أم أَشرَبُه؟ فقالت امرأتُه: غَرْثان فارْبُكوا له، أي: جائِعٌ فأطعِموه[٤].

---

(١) الصحاح (عيف، قيف).

(٢) أخرجه أحمد (٧٦٢٠)، والبخاري (٥٧١٧)، ومسلم (٢٢٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر العقد ٦/ ٢٩١ـ٢٩٢، وإصلاح المنطق ٣٨٣، وفقه اللغة ٤٥٠، ٤٥٤، ٤٥٥.

(٤) إصلاح المنطق ٣٨٢ـ٣٨٣، والصحاح (ربك)، وفقه اللغة ٤٥٣، والمثل في جمهرة الأمثال ٢/ ٨٢، ومجمع الأمثال ٢/ ٥٦.

ومنها الرَّغيدَة، وهي اللَّبن الحليب، يُغلى ويُذَرُّ عليه دَقيق، ثم يُساط ويُلْعَقُ لَعْقاً[١].

ومنها السَّخينة، وهو خَلْطُ الدّقيق بالماء لا غير، وكانت قريش تُعيَّرُ بها[٢].

ومنها السُّلْفَة، وهو ما يَتَعَجَّلُه الرجلُ من الطعام قبل الغَداء.

ومنها الصَّفيف، وهو ما صُفَّ من اللحم على الجَمْر ليُشْوى[٣].

ومنها العَبِيثة، وهي اللّبن يُطبَخ ويُلقى فيه الجراد، وقيل هو: الأقِطُ لا غير[٤].

ومنها العَصيدة، وهي ما يُعْصَد بالمِسْواطِ من الدَّقيق[٥].

ومنها العَقيقَة، وهي الشَّاة التي تُذبَح عن المَولودِ يوم أُسبوعه[٦].

ومنها العَليث، وهو الطّعامُ المَخلوط بالشّعير[٧].

ومنها الفَرِيقَة[٨]، وهي تَمْرٌ يُطبَخُ بحُلْبة للنُّفَساء.

ومنها العَكِيس، وهو الدَّقيقُ يُصبُّ عليه الماء ثم يُشرب[٩].

ومنها اللَّفِيتَة، وهي الغَليظَةُ من العَصَائِد[١٠].

ومنها المَأْدُبَة، وهو كلُّ طعامٍ يُصنَع لدَعوة[١١].

---

(١) إصلاح المنطق ٣٩٢، والصحاح (رغد)، والعقد ٦/ ٢٩٢، وفقه اللغة ٤٥٢.

(٢) العقد ٦/ ٢٩٢، وانظر إصلاح المنطق ٣٥٦، وفقه اللغة ٤٥١.

(٣) الصحاح (سلف، صفف)، والعقد ٦/ ٢٩٢.

(٤) العقد ٦/ ٢٩١، وإصلاح المنطق ٣٤٦، وفقه اللغة ٤٥٤.

(٥) إصلاح المنطق ٣٩٣، والصحاح (عصد).

(٦) العقد ٦/ ٢٩٢، وانظر الصحاح (عقق)، وفقه اللغة ٤٥٠، وإصلاح المنطق ٢٦٣.

(٧) العقد ٦/ ٢٩١.

(٨) في النسخ: الفريعة، وهو خطأ، انظر إصلاح المنطق ٣٤٤، والصحاح (فرق)، والعقد ٦/ ٢٩١، وفقه اللغة ٤٥٢، والنهاية ٣/ ٤٤٠، والجراثيم ١/ ٣٢٢، والغريب المصنف ١/ ٩٠.

(٩) العقد ٦/ ٢٩٢، والغريب المصنف ١/ ٩٠، والجراثيم ١/ ٣٢٢.

(١٠) إصلاح المنطق ٣٤٧، والصحاح (لفت)، وفقه اللغة ٤٥٧.

(١١) الغريب المصنف ١/ ٨٦، والجراثيم ١/ ٣١٥، والعقد ٦/ ٢٩٢، وفقه اللغة ٤٥٠، وانظر إصلاح المنطق ١٣٤، والصحاح (أدب).

ومنها الوَشِيقَة، وهو أن يُعْلَى اللَّحْمُ، ثم يُقَدَّد ويُحمَل في الأَسفار[١].

ومنها الوَكِيْرَة، وهو طعامُ ما يَبنيه[٢] الرَّجلُ في داره. والوَلِيمة: طعامُ العُرْس.

ومنها الهَرِيْسَة، وهي أَفْخَر طعامِهم، سُمِّيت بذلك لأنّها تهرسُ اللَّحم[٣].

فصل
في ذكر مَن كان في الفترة بين عيسى عليه السلام ونبيّنا ﷺ

كان في الفترة جماعةٌ من أهل التَّوحيد ممَّن يُقرُّ بالبَعث والنُّشور، والجنة والنار، وكان بعضُهم دُعاة إلى الله تعالى، وبعضُهم أنبياء، فمنهم:

جرجيس: كان عبداً صالحاً من أهل فلسْطين، أدرك بعضَ الحواريّين من أصحاب عيسى عليه السلام، وكان تاجراً، يكتسب ما يستغني به، ويعود بالفَضْل على المساكين، فسافر إلى المَوْصِل وبها جَبَّار يُجبرُ النّاسَ على عبادة الأصنام، فوَعَظه، فأخَذه وعذَّبه بأنواع العَذاب، وقتله عِدَّة قَتلات فلم يَمُت، فبَعث الله إليه مَلَكاً، فقال له: لا تَخَفْ، فإنك تَبقى في جهاده سبعَ سنين، ويقتُلُك مَرَّةً رابعة.

فجعله في تَوْرٍ من نُحاس، وحشاهُ نفطاً وكبريتاً، وأَدخلَه فيه، وأَوقد عليه، فاختلطت عظامُه، وبعث الله جبريل، فحمل التَّور فألقاه بين السماء والأرض، فخرج جرجيس حيّاً، فقال: يا إلهي، قد وَعَدْتَني مَنازلَ الشهداء، وأكرَمْتَني بهذا البلاء، وهذا آخرُ يومي الذي وَعدْتَني فيه الرَّاحة، فأَسألُك أن تَقبِض روحي، وتُنزِلَ عُقوبَتك بهذا الجبَّار، فما استتمَّ كلامَه حتى نزلت نارٌ من السماء، فلما رأوها مالوا عليه فضربوه بالسّيوف حتى قتلوه.

وأحرق اللهُ الجبّارَ وقومَه والمَوصل، فصارت رَماداً مُنتناً، وجعل الله عاليَها سافلَها، ولبثتْ زماناً يخرج منها الدُّخان المُنتِن، وخرج مَن آمن بجرجيس منها،

(١) الغريب المصنف ١/ ٨٦، والجراثيم ١/ ٣١٧، والصحاح (وشق)، والعقد ٦/ ٢٩٠.

(٢) في النسخ: الوديرة... ما يثبته، وهو خطأ، انظر الغريب المصنف ١/ ٨٦، وإصلاح المنطق ٣٨٤، والجراثيم ١/ ٣١٥، والصحاح (وكر)، والعقد ٦/ ٢٩٢، وفقه اللغة ٤٥٠.

(٣) العقد ٦/ ٢٩١، والصحاح (هرس).

وكانوا أربعةً وثلاثين ألفاً[١].

ومنهم: **حَنْظَلة بنُ صفوان**، نبيُّ أصحاب الرَّسِّ، كان في الفترة، وهو من ولد إسماعيل عليه السلام، قام في قومه خطيباً، فنهاهم عن عبادة الأوثان، وأمرهم أن يَعبدوا الله ويُوَحِّدوه، فقَتلوه، ورَمَوه في بئر، فلما قتلوه أَلهم الله بعضَ المُلوك، فسار إليهم فقتلهم، وشرَّدهم، وفعل برُؤسائهم كما فعلوا بحَنْظلة، فلم يَبْقَ لهم أثر[٢].

ومنهم: **خالد بن سِنان بن غَيْث العَبْسي**، كان عبداً صالحاً، وأكثرُ العلماء على أنه كان نبيّاً على دين المسيح عليه السلام، وظهرت نارٌ بين مكّة والمدينة، فعبدها طوائفُ من العرب، فأتاها خالد، فاقتحمها، فأطفأها غَضباً لله، لئلا تُعبدَ معه، ولما عَزم على دخولها، قال: [كلُّ هَدْيٍ مُؤدَّى إلى] الله الأعلى، لأَدْخُلَنّها وهي تَلَظَّى، ولَأَخْرُجَنَّ منها وثيابي تَنَدَّى، فكان كما قال.

ولما احتُضر قال: ادفنوني في حِقْفٍ من هذه الأَحقاف، واحرُسُوني أياماً، فإذا رأيتُم حماراً أَشهَب أَبْتَر يدور حول الحِقْف فانْبُشوني، وأَحضِروا كاتباً يَكتبُ ما أقول، فإني سأُخبرُكم بالكائنات والمغيبات إلى يوم البعث، فرَصَدوا قبرَه ثلاثاً، فجاء الحمار فدار حول الحِقْفِ، فاجتمع قومُه لِيَنْبُشوه، فقام بنوه، وشَهروا سُيوفهم وقالوا: نَخاف العار فتركوه، فقال شاعر: [من الطويل]

بني خالدٍ لو أنّكم إذ حَضَرْتُمُ ... نَبَشْتُم عن المَيْتِ المُغَيَّب في القَبْرِ
لَأَبْقى لكم في آل عَبْسٍ ذَخيرةً ... من الفضلِ لا تبْلَى على سالفِ الدَّهرِ

ولما ظهر رسول الله ﷺ بمكة؛ وَفَدتْ عليه ابنةُ خالد بن سنان وهي عجوز مُسِنّة كبيرة، فرحَّبَ بها وقال: «مرحباً بابنةِ أخي خالد، كان أبوها نبيّاً، وإنما ضيَّعه قومُه»[٣]، وسمعتْ رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[الإخلاص: ١]

---

(١) ذكر القصة مختصرة المسعودي في مروج الذهب ١/ ١٢٧، ومطولة الطبري ٢/ ٢٤ـ٣٦، والثعلبي في عرائس المجالس ٤٣٢ـ٤٣٨، وابن الجوزي في المنتظم ٢/ ١٤٨ـ١٤٩.

(٢) مروج الذهب ١/ ١٢٥.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٠٠، وابن شبة في أخبار المدينة ٤٢١ عن سعيد بن جبير، قال الحافظ في الإصابة ٣/ ١١٧: ورجاله ثقات إلا أنه مرسل.

فقالت: كان أبي يقرؤها، قال ابن عباس: وقد بَشّر برسول الله ﷺ[١].

ومنهم: **رِئابُ بنُ البَراء**، كان على دين عيسى عليه السلام قبل مبعث النبيّ ﷺ.

قال السدّي: سمع الناسُ قائلاً يقول من السماء: خيرُ أهلِ الأرض ثلاثة: بَحيرى الرَّاهب، ورئاب الشَّنّي، وآخر لم يجئ بعد، يعني النبيَّ ﷺ.

قال ابن قتيبة: لمّا سَمع رئاب النّداء قال: صدق فيما قال.

وقال وهب: ما مات أحدٌ من ولده إلا ورأوا النُّور على قبره[٢].

ومنهم: **زيد بن عَمرو بن نُفَيل بن عبد العُزَّى العَدَويّ**، ابنُ عمّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٣].

ومنهم: **صِرمَةُ بن أبي أنس**، أبو قيس من بني النجار، كان قد تَرهّب في الجاهليّة، ولَبس المُسوح، وهَجر الأوثان، وهمَّ بالنَّصرانية، ثم أَمسك عنها، واتّخذ في بيته مسجداً لا يَدخله طامث ولا جُنُب، وقال: أَعبدُ إله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أَسلم في السَّنة الأولى من الهجرة، ولما رأى رسول الله ﷺ قال: يا قوم، هذا الذي كنتُ أَنتَظِره[٤].

ومنهم: **قُسُّ بن ساعِدة**.

ومنهم: **أصحابُ الكهف والرّقيم**، قال سعيد بنُ جُبَير: الرَّقِيم: لَوحٌ من ذَهَب على باب الكهف، فيه مكتوب أسماءُ الفِتية وقِصَّتُهم.

وقال ابن عباس: الرَّقيم: وادٍ بين عُسْفان وعَمَّان البَلْقاء، فيه أصحابُ الكهف.

قال مجاهد: كانوا من أولاد المُلوك.

قال وَهْب: كان من قِصَّتِهم أنه لما رُفع عيسى عليه السلام، وكَثُرت الأحداثُ،

---

(١) ذكر قصته مطولة ومختصرة ابن قتيبة في المعارف ٦٢، والجاحظ في الحيوان ٤/ ٤٧٦ـ٤٧٧، وابن شبة في أخبار المدينة ٤٢٠ـ٤٣٣، والمسعودي في مروج الذهب ١/ ١٣١ـ١٣٢ ومابين معكوفين منه و٤/ ٢١ـ٢٢، وابن الجوزي في المنتظم ٢/ ١٤٧، والحافظ في الإصابة ٣/ ١١٧ فما بعدها.

(٢) المعارف ٥٨ وليس فيه كلام ابن قتيبة، ومروج الذهب ١/ ١٣٢ـ١٣٣.

(٣) السيرة ١/ ٢٢٤، والمعارف ٥٩، ومروج الذهب ١/ ١٣٦، والمنتظم ٢/ ٣٢٨.

(٤) المعارف ٦١، ومروج الذهب ١/ ١٤٤، وانظر الإصابة في ترجمته.

وذُبِحَ للطّواغيت، وعُبِدت من دون الله، وفي الناس بقايا من أهلِ التّوحيد، مُتَمسِّكين بدين عيسى عليه السلام، وكان ببلدِ الروم ملكٌ يقال له: دقيانوس، يأمر الناسَ بالذَّبح للأصنام، ويُخيِّرهم بين ذلك وبين القتل، وبلغه خَبرُ الفتية، فاستدعاهم، وأمرهم بالذَّبح للطَّواغيت، فقال له أحدهم: أيّها الملك، إن لنا إلهاً ملأت عظمتُه السماوات والأرض، لن نَدعوَ من دونه إلهاً آخر، فقال دقيانوس: أنتم من أولادِ الملوك، وما أحبُّ أن أَعجَل عليكم بالعُقوبة، وأنتم شباب، حتى أضربَ لكم أَجَلاً تَنظرون فيه لأنفسكم، فخرجوا من عنده.

واتّفق أنه مضى إلى بلدٍ آخر لأمرٍ عَرَض له، فقال بعضُهم لبعض: اخرُجوا بنا إلى الجبل، فإن عاد الملك وذَكرَنا قَتلَنا، فخرجوا، واتَّبعهم كلبُ راعٍ، فطردوه فلم يَرجِع، فردُّوه ثانياً فأنطقه الله وقال: لِمَ تَطردوني؟ إنْ لم أكن من جِنسكم، فمعبودكم ليس من جنسكم، دعوني أَحرُسكم إذا نِمتم، فعجبوا منه.

ثم دخلوا الكهف، وجعل يمليخا ـ أحدهم ـ يدخل المدينة فيأتيهم بالطّعام، ويتحسَّس لهم الأخبار، وقَدِم الجبَّار إلى المدينة فذكرهم، فجاء يمليخا إليهم وهو يبكي، فأخبرهم، فخرّوا سُجَّداً لله تعالى يبكون ويَتضَرَّعون، وذلك عند غُروب الشمس، فضرب الله على آذانهم في الكهف سنينَ عددا، فناموا ونام الكلب وهو باسِطٌ ذراعَيه بالوَصيد، أي: بعَتَبة الباب.

وجاء دقيانوس وراءهم، فوَجدهم في الكهف، فسدَّ عليهم الباب عقوبةً لهم، وفي ظنِّه أنهم أحياء أيْقاظ.

وكان في أصحاب دقيانوس رجلان على دين الفتية، فكتبا أسماءَ الفِتيَة في لوح من ذَهب، ودفناه عند الباب، وقالا: لعلّ الله أن يُطْلِعَ على أحوال هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين، فَيُعْلَم عِلْمُهم، ومات دقيانوس، وخَلَفت الملوكُ قرناً بعد قرن وهم على حالهم. فقصَّ الله على نبيِّه ﷺ أخبارَهم.

وكان سببُ إيقاظهم أنه مَلَك تلك البلاد مَلِك صالح، فرأى اختلافَ الناس في الأديان، فسأل الله أن يُريَه آيةً يستدلُّ بها على التوحيد، فمرَّ بهم راعٍ في ليلةٍ باردة، ففتح باب الكهف وآوى إلى جانبه غَنَمَه.

وأيقظ الله الفِتية، فجلسوا كأنهم ناموا من ساعتهم، لا يُنكرون من أحوالهم شيئاً، وهم يرون أن المِلك دقيانوس، فبعثوا يمليخا إلى المدينة على عادتهم ليشتري لهم طعاماً، فتَنكَّر وخرج، فرأى الحجارةَ على باب الكهف فعجب، ورأى أَثَرَ البنيان، وأتى بابَ المدينة، فرأى عليها علامةً تكون للمؤمنين، ورأى أُناساً لا يعرفهم،وسمعهم يحلفون بالمسيح، فقال: والله ما أدري ما هذا، عَشيَّةَ أمسِ ليس على وجهِ الأرض أحدٌ يذكر المسيح إلا قُتل، واليومَ كلُّ أَحدٍ يَحلف به لا يَخاف.

ثم دنا من واحدٍ، ودَفع إليه دراهم، فنظر إليها وعجب، ثم ناولها آخر فتَعجَّبَ، فقالوا له: إنك قد وَجَدْتَ كَنْزاً، وإن لم تُخْبِرْنا به حَمَلناك إلى المَلِك، وهو ساكت، فجعلوا كِساءَه في عُنقه، وسحبوه في سِكك المدينة، وما يرى أحداً يَعرفه، وهو يَظنُّ أن أباه وأهلَه في الحياة، وأنهم يحملونه إلى دقيانوس، وجعل يبكي ويقول: فُرِّق بيني وبين إخوتي، يا ليتهم يعلمون ما حلَّ بي.

وكان على تدبير الملك رجلان صالحان: أرنوس وأنطوس، فقالا: يا فتى، أَين الكنز الذي وجدت؟ فقال: والله ما وَجدتُ كَنْزاً، قالا: فهذه الدَّراهم تَشهد عليك بتاريخ ضَرْبها من زمن دقيانوس منذ ثلاث مئة سنة، وأنت شابّ وخزائنُ هذه المدينة بأيدينا، وما فيها منها شيء، فإن أَخبَرتَنا وإلا عَذَّبناك، وهو يبكي ويقول: والله ما أدري ما أقول، ثم قال: وأين دقيانوس؟ قالا: ما نعرف اليوم في الأرض ملكاً يُقال له: دقيانوس، وإنما كان هذا منذ ثلاث مئة سنة.

فقال: أَصدُقكم؟ كنّا فِتيةً أَكرَهَنا دقيانوس على الذَّبحِ للطَّواغيت، فهربنا منه عشيَّةَ أمس، ونمنا في كهف؛ فلما كان اليوم بعثوني أَشتري لهم طعاماً، وهاهم في الكهف جُلوس يَعبدون الله، فلما سمع أرنوس كلامَه قال لهم: يا قوم، هذه آيةٌ أراكم الله إيّاها على يَدَي هذا الفتى، انطلقوا معه، وأخبرواالملك، وخرج معه الناس، وسبق يمليخا ودخل عليهم، وأخبرهم الخَبر.

وجاء أرنوس فدخل عليهم، فرأى وجوههم مُشرقة، لم تَبْلَ ثيابُهم ولم تتغيَّر، ووَجد اللّوح على باب الكهف، وفيه عَدَدُهم وتاريخُ يومهم، فأرسل إلى الملك: بادِرْ، فقد أَراك الله آيةً للعالمين، وجاء الملك فدخل عليهم الكهف واعتَنقَهم وبكوا جميعاً،

ثم قالوا: نستودعك الله.

ثم عادوا إلى مضاجعهم وناموا، فتوفّى الله نُفوسَهم، وأمر الملك أن يُتَّخذَ لكلٍّ واحدٍ منهم تابوتٌ من ذهب، فرآهم في منامه وهم يقولون: لا تَفعلْ هذا، فنحن من التُّراب خُلِقنا، وإليه نعود، فاترُكْنا على حالنا، فتركهم وبنى عليهم مسجداً، وصنع لهم عيداً في كل سنة، وهم من الحواريين[1].

ومنهم **أصحاب يس**، قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾[يس: ١٤]. اتَّفقوا على أنهما أُرسِلا إلى أنطاكية فكذَّبوهما ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ والثالث: شمعون، وقيل: سمعان.

ذكر القصة

كان ملك أنطاكية يعبد الأوثان، فلما قَرُبا من أنطاكية إذا بشيخ يرعى غنماً، وهو حَبيب النّجار، فسلما عليه فقال: مَن أنتم؟ قالا: رسولا عيسى المَسيح، قال: وما جاء بكما؟ قالا: ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن. قال: أمعكما آية؟ قالا: نعم، نشفي الأكمَه والأَبرص بإذن الله. فقال حبيب: إن لي ابناً صاحب فِراش منذ سنين، وانطلق بهما إلى منزله، فمسحا أيديهما عليه، فقام صحيحاً بإذن الله.

ثم شَفيا خَلْقاً عظيماً، وبلغ المَلك، فاستدعاهما وقال: مَن أنتما؟ فقالا له مثل ما قالا لحَبيب، فقال: قُوما حتى أَنظرَ في أمركما، وقيل: إنهما لم يَصلا إلى الملك، بل أقاما عند حبيب النجار وكان قَزَّازاً.

فركب الملك يوماً، فوَقفا له، وكبَّرا وذكرا الله، فغضب، وأمر فجُلِد كلُّ واحد منهما مئة جلدة وحُبِسا، فحينئذٍ بعث عيسى عليه السلام شمعون رأسَ الحواريّين على إثْرهما ليَنْصُرَهما، فلما وصل إلى أنطاكية دخل مُتَخفِّياً، يُؤنِسُ حاشيةَ الملك، حتى أَنِسوا به، وأعجبهم عَقلُه، فرفعوا خَبَره إلى الملك، فدعاه فأعجبه وأَنِس به.

فقال له يوماً: أيّها الملك، بلغني أنك ضربتَ رجلين وسجنتَهما حين دَعواك إلى

---

(١) ذكر قصتهم الطبري في تفسيره ١٥/ ١٦٢ـ١٧٦، وتاريخه ٢/ ٥ـ٩، وانظر عرائس المجالس ٤١٤ـ٤٣٢، والمنتظم ٢/ ١٥١ـ١٥٣.

دينهما، فهل كلَّمْتَهما؟ قال: لا، حال الغضبُ بيني وبينهما، قال: فإن رأى الملكُ أن يُحضِرهما ويسمعَ كلامَهما، فدعاهما، فقال لهما شمعون: مَن أرسلكما؟ فقالا: الذي خلق كلَّ شيء، وليس له شريك، فقال: صِفاه وأوجزا، قالا: إنه يَفعل ما يشاء ويَحكم ما يُريد، قال: فما آيتُكما؟ قالا: نُبرِئ الأكمَهَ والأَبرص بإذن الله.

فأمر الملك، فجيءَ بغُلام مَطموس العينين، فدعَوا الله فانشقَّ مَوضعُ عينيه، فأخذا بُندُقَتَيْن من طين، فوضعاهما مَوضعَ عينيه، فصارتا مُقلَتَيْن، فأبصر بهما، فعَجب الملك، فقال له شمعون: إن أنت سألتَ صنَمك أن يَفعل مثل هذا كان له ولك الشّرَف، فقال له الملك: ما منك سِرّ، إن إلهنا الذي نَعبده لا يَسمع ولا يُبصر ولا يَضرُّ ولا يَنفع، ثم قال الملك للرجلين: إنْ قَدر إلهكما على إحياء مَيت آمنّا [به وبكما].

وكان شَمعون يُظهِر للملك أنه على دِينه، وكان قد مات ابن دِهْقانٍ منذ سبعة أيام، فجاؤوا به وقد أَرْوَح، فسألا الله فأحياه، فقام يَنفض التُّرابَ عن رأسه ويقول: منذ متّ وإلى الآن أنا في سبعة أوديةٍ من نار، وأنا أُحَذِّرُكم ما أنتم فيه، فآمِنوا بالله، ثم قال: قد فُتحت أبوابُ السماء، ونَزل منها شاب حتى يَشفعَ لهؤلاء الثلاثة، وأشار إلى الرَّسولَين وشمعون، فآمن الملك ومعه خلْقٌ كثير، وكفر آخرون.

وقال مُقاتل: لم يُؤمن الملك، وأَجمع هو وقومُه على قتل الرُّسُل، وبلغ حبيبَ بن إسرائيل النّجار قصَّتُهم ـ وكان رجلاً صالحاً مُتَصدِّقاً مؤمناً، يعبد الله سِرّاً، وكان بيتُه بعيداً عن المدينة ـ فأقبل يَسعى ويقول: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١﴾[يس: ٢٠ـ٢١] فلما قال ذلك وَثبوا إليه وَثْبَةَ رجلٍ واحد، فوَطِئوه بأرجُلهم حتى خرج قُصْبُهُ[1] من دُبُره، ورمَوْه بالحجارة وهو يقول: [اللهم] اهْدِ قومي، حتى مات. فعلّقوه على سُور البلد، فأوجب الله له الجنة، فلما دخلها قال: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾[يس: ٢٦] الآية، فهو فيها حيٌّ يُرزَق قد أمِن أَسقامَ الدُّنيا وأَوْصابَها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما قتلوه، أمر الله جبريل فأخذ بعَضادتَيْ باب المدينة، ثم صاح بهم صيحةً فخَمدوا وصاروا رماداً، المدينة وجميعُ ما فيها من بني آدم، والمواشي والمَلِك، ولم يبق لهم باقية.

---

(١) القُصبُ: اسم للأمعاء كلها. اللسان (قصب).

وكانت القصَّةُ في أيام ملوك الطوائف في حياة عيسى عليه السلام، وقيل: بعد رَفْعِه[١].

فصل في ذكر جماعة من القدماء

فمنهم **خليفةُ موسى عليه السلام**، كان بنو إسرائيل استَخلَفوا عليهم خليفةً بعد موسى عليه السلام، فقام يُصلّي في ليلةٍ مُقمِرةٍ فوق بيت المقدس، فذكر أموراً كان صَنعها، فتدلّى[٢] بسبب، فأصبح السبب معلقاً في المسجد.

وانطلق، فأتى على قوم يَضربون اللَّبِن، فلَبَّن معهم، وكان يأكل من عَمل يده، فرفع ذلك العُمَّال إلى قَهْرَمانهم، فأرسل إليه فأَبى أن يَأتيَه، فجاءه القهرمان بنفسه إليه، فلما رآه فَرَّ، فاتَّبعه وقال: إني لَأَظنُّ أني لاحِقٌ بك، فلَحِقه، فعبدا الله حتى ماتا برُمَيْلَةِ مِصر.

ومنهم **ابن الملك الذي تَزَهَّد**، كان رجل من ملوك بني إسرائيل قد أُعطي طولَ العُمر، وكثرةَ المالِ والولد، وكان أولادُه إذا كَبر أحدُهم لبس [ثياب] الشَّعْر، ولحق بالجبال، وساح في الأرض يأكل من بُقولها وشجرها حتى يموت، ففعل ذلك جماعةٌ منهم واحداً بعد واحد حتى تتابعوا على ذلك، فأصاب وَلَداً على كِبَر، فدعا قومَه وقال: إني قد أصبتُ هذا الولدَ على الكِبَر وقد تَرَوْنَ شفَقَتي عليكم، وأخافُ أن يَتبع سُنَّة إخوته، فحَبِّبوا إليه الدنيا عسى أن يَبقى بعدي لكم.

فبنَوْا له حائطاً فرسخاً في فرسخ فكان فيه دهراً، ثم ركب يوماً، فرأى الحائطَ فقال: إني لأحسَب أن وراء هذا الحائط أُناساً وعالماً آخر، أخرجوني أَلقى الناس، وأَزْدَدْ علماً، فأُخبِر أبوه بذلك فجَزع وقال: اجمعوا عليه كلَّ لهوٍ ولَعب، ففعلوا.

ثم ركب في السنة الثانية. وقال: لابُدَّ من الخروج. فأخرجوه على عَجَلَةٍ مُكَلَّلَةٍ بالدُّرِّ والياقوت والذّهب والزَّبَرْجد، والناس حوله، فبينا هو يسير إذ مرَّ برجلٍ مُبْتَلى، فقال ما هذا؟ قالوا: مُبْتَلىً قال: أيُصيبُ هذا أُناساً دون أُناس، أو كلٌّ خائفٌ منه؟ قالوا: بل كلٌّ خائفٌ منه، قال: وأنا فيما أنا فيه من السُّلطان؟ قالوا: نعم، قال: أُفٍّ

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٧ـ١١، وما بين معكوفين منه، وانظر قصص الأنبياء للثعلبي ٤٠٨ـ٤١٠، والبداية والنهاية ٢/ ١٠ـ١٥.

(٢) في النسخ: فبكى، وهو تصحيف، والمثبت من التوابين ٧٤، وقد ورد هذا الخبر من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً في المسند (٤٣١٢)، وانظر المنتظم ٢/ ١٨٤، السبب: الحبل.